العرب
الأربعاء 2021/08/11
السنة 44 العدد 12145

المتاحف في العالم العربي
مزارات للأجانب والمسنين وعشاق «القدامة»

الثقافة المتحفية السائدة يجب أن تتغير للتحرر من النمطية والركود

المتاحف لها جانب حي وحيوي ضروري

قد يرى البعض من قصار النظر أن المتاحف مجرد ترف اقتداء بنشأتها في قصور الملوك والأثرياء، بينما الحقيقة بعيدة كل البعد عن هذه النظرة السطحية. المتاحف اليوم عماد ثقافي لأيّ دولة، وهي وجهها الحضاري، وكيانها الراسخ، والذي يتجاوز عرض التاريخ إلى المساهمة في صناعته.

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

"ربما نحمد الله أن مجتمعنا لا يهتم للمتاحف والآثار، وإلا كانت الحصيلة أوجع بكثير"، هي سخرية مرّة وسوداء، وأشبه بالنكتة السمجة كان تناولها التونسيون في الذكرى السادسة لإحياء المجزرة التي ارتكبها إرهابيون في متحف باردو الشهير، وراح ضحيتها 21 سائحا كلهم من الأجانب، بالإضافة إلى عنصر أمني تونسي و45 جريحا واحتجاز حوالي 200 سائح لفترة قصيرة قبل أن يقع القضاء على المهاجمين.

عادة زيارة المتاحف والاهتمام بما يستجد فيها من عروض ومقتنيات ونشاطات في العالم العربي عموما، تكاد تنعدم في الثقافة العربية، ويعتبرها الجميع شأنا سياحيا خالصا، يخص الوافدين ونخبة المهتمين.

الخروج من السبات

إن شاهد المرء أطفالا في الممرات وردهات المتاحف يتصايحون ويتزاحمون، فلا ينخدع بذلك. إنها مجرد رحلة مدرسية روتينية بقصد التسلية والترفيه، تغيب عنها المتابعة الجدية، وتنقصها الإحاطة والترغيب في المحيط التربوي والأسري والإعلامي.

أما لدى الكبار فلا تزال المتاحف بالنسبة إليهم، مزارات تخص المسنين من الأجانب وحدهم، وليست فضاءات للاطلاع والتثقيف، كونها لا تحوي إلا الأوابد والمعروضات التي ملوا رؤيتها في الطوابع البريدية وعلى شاشة التلفزيون الرسمي أثناء انقطاع البث المباشر.

هي بالفعل، كذلك، عند الجهات المختصة والقيمين عليها، إذ لا يلتفتون إلى جانبها الحي والحيوي، ويبقون عليها فضاءات ميتة دون تفعيل ثقافي وفكري كإقامة المعارض والندوات والعروض المسرحية والموسيقية.

الإداريون في وزارة الإشراف يظنون أن مجرد فتح المتاحف، وبالمجان لعموم الناس في المناسبات الرسمية، سيحل مشكلة إحجام الناس عن هذه العادة التي لا تدخل في ثقافتهم أصلا.

> الثقافة المتحفية في أقطار العالم العربي يجب أن تخرج من الطراز المتداول القديم لتحل محلها ثقافة طازجة متفاعلة

ها هي وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية في تونس مثلا، تعلن مرارا - وفي كل مناسبة وطنية أو دينية - أن الدخول إلى جميع المتاحف والمواقع الأثريّة والمعالم التاريخيّة سيكون مجانيا. هذا بالإضافة إلى مجانيتها أول أحد من كل شهر، وكذلك يوم الثامن عشر من مايو الموافق لليوم العالمي للمتاحف.

ومع ذلك تبقى الحصيلة المتواضعة هي نفسها، على اعتبار أن أبواب المتاحف في الذهنية السائدة مقفلة دائمة، لا لأنها تفتح بالنقود بل لأنها لا تعني السكان المحليين، ويعتبرون التردد إليها ضربا من الفذلكة والتشبه الأعمى بالأجانب الذين "لبّوا كل حاجياتهم وأصبح لا همّ لهم إلا التفرج على الأحجار وزيارة الخرائب"، حسب قول أحد سكان الضاحية التي يقع فيها المتحف الوطني في تونس.

حميدة هي هذه القرارات التي تسمح للناس بالتعرف إلى آثار بلدانهم مجانا في مناسبات معينة من العام، لكن يا حبذا لو يضاف إليها إجراءات وتحضيرات من جهات أخرى تتمثل في إرساء وترسيخ القيم المعرفية للثقافة المتحفية أولا، بالإضافة إلى إخراج المواقع الأثرية من سباتها وتأثيثها بمهرجانات وعروض احتفالية تجعلها حية في حياة ووجدان الناس.

الثقافة المتحفية

بقية البلدان العربية بدأت تبدي اهتماما ملحوظا بالثقافة المتحفية في السنوات الأخيرة مثل متحف اللوفر أبوظبي الذي افتتح أبوابه لأول مرة في عام 2017، ليكون أول متحف عالمي في العالم العربي ينقل روح الحوار والانفتاح إلى ثقافات العالم. وجاء إثر اتفاقية بين دولتي الإمارات وفرنسا سنة 2007، أثمرت عن هذا الصرح البشري الكبير في هندسته ومقتنياته وقيمته المعرفية والسياحية.. وهو ما من شأنه أن يشع بحضوره محليا ودوليا ليسهم في صنع ثقافة كونية لدى كل من زاره، ولو لمجرد التقاط الصور التذكارية. أما المتحف الوطني السعودي في الرياض الذي يمسح فضاء شاسعا، وصممه المهندس المعماري رايموند موريامًا، ليحاكي شكله الكثبان الرملية الحمراء، فبدأ يلقى اهتماما كبيرا هو والمواقع الأثرية الأخرى ضمن خطة التطوير والتحديث التي تعدها المملكة.

وبدأت السعودية تخرج من تلك النظرة النمطية الضيقة للآثار والمتاحف التي كانت تحكمها الذهنية السلفية، وأصبح هناك تركيز على خارطة آثار شاملة تمسح كل الحقب في تاريخ المنطقة دون استثناء أو مفاضلة دينية من شأنها أن تقيد ثقافة الناشئة.

هذه "الانتفاضة الثقافية" والوعي بالمخزون الحضاري في المنطقة العربية بدأت تعطي أكلها بفضل المتابعة السياسية التي لولاها لتخلف الركب الثقافي أكثر مما هو عليه، بالرغم من أن الكثير من المنتقدين يربطون هذه الانجازات بالبروبغاندا السياسية مثلما حصل مع احتفالية نقل المومياء في مصر.. فليكن.. أليست أهم الإنجازات الحضارية والثقافية في أوروبا والعالم شكلا من أشكال الدعاية السياسية.

الأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة في أوروبا، ولكنّ بلدا مثل ألمانيا اليوم، تجاوز مجرد التحشيد الانتخابي لدى اليساريين والخضر في برلين ليصل إلى مبادرة أطلقتها جمعية متاحف برلين والحكومة الاتحادية لإتاحة الدخول المجاني إلى متاحف المدينة أيام الأحد مطلع كل شهر، وعادت حشود الزائرين، مع الالتزام بارتداء الكمامات لتصل إلى عشرات أضعاف ما كانت عليه.

العالم العربي بإمكانه أن ينسج على هذا المنوال الألماني في التنمية والنهوض بالثقافة المتحفية، خصوصا إذا علمنا أن مبادرة برلين وجدت طريقة لجذب الزوار وسط أزمة صحية عالمية مستدامة. وتضم هذه الأحداث "أسبوع الفن في برلين"، وفعالية "دراوسنشتات" في الهواء الطلق، و"إعادة إطلاق ثقافة النوادي"، وهو مشروع تجريبي يجرى في برلين هذا الصيف للوقوف على كيفية تنظيم الحفلات خلال الجائحة.

الثقافة المتحفية في أقطار العالم العربي يجب أن توضع في متحف وفق الطراز المتداول القديم لتحل محلها ثقافة طازجة متفاعلة مع محيطها دون أن تمجد "القدامة" وتغازل الفكر المحنط.

ستيفن سبيلبرغ يقود جوقة
«ويست ساید ستوري» من المسرح إلى السينما

نيويورك – أصبحت النسخة الجديدة لاستعراض "ويست ساید ستوري" المسرحي ضحية جانبية جديدة لجائحة كوفيد – 19، إذ أعلن منتجوها الاثنين أنها لن تعود إلى خشبات برودواي كما كان مقررا سابقا فيما ستعرض في شكل فيلم سينمائي.

وستظل الفرصة متاحة للجمهور لمشاهدة نسخة جديدة من "ويست ساید ستوري" في السينما في ديسمبر، من إخراج ستيفن سبيلبرغ.

وهذه النسخة الجديدة من العمل المسرحي الشهير كانت قد انطلقت في فبراير من العام الماضي، لكنها اضطرت للتوقف بعد شهر واحد فقط بسبب تفشي فايروس كورونا في نيويورك.

وقالت منتجة العمل كايت هورتون في بيان "ببالغ الأسف نعلن اليوم أن 'ويست ساید ستوري' بنسختها الجديدة التي عُرضت في برودواي عام 2020 لن تعود إلى الخشبة".

وأضافت "إعادة العرض ليست اقتراحا عمليا لأسباب متنوعة"، متوجهة بالشكر إلى "الفنانين الرائعين والمبدعين" في فريق الإنتاج الذين أعادوا إحياء القصة "على مسرح برودواي، حتى لفترة وجيزة جدا".

ويحمل هذا العمل توقيع المخرج البلجيكي إيفو فان هوفه الذي أدخل تحولا غير مسبوق على المسرحية الموسيقية المنتجة أصلا في العام 1957، مع طاقم أكثر تنوعا ومواضيع تحاكي الواقع الحالي بما يشمل عنف الشرطة والاغتصاب.

منذ عروضها الأولى عام 1957، لم تَعرف مسرحية "ويست ساید ستوري" إلا صفوفًا طويلة على شبابيك التذاكر، وصدى مدويا امتدّ من الجرائد والإذاعات إلى البيت الأبيض. وحتى اليوم بعد ستين سنة، لم تفقد المسرحية الغنائية شيئًا من قوتها، بل استمر تقديمها في المسارح ودور الأوبرا بشكل شبه متواصل منذ إطلاقها، كما تحوّلت عام 1962 إلى فيلم حصد 10 جوائز أوسكار ودخل الذاكرة الشعبية الأميركية إلى الأبد.

يقف خلف موسيقى هذا العمل الذي تحول إلى واحد من أيقونات المسرح الغنائي، الموسيقي ليونارد بيرنشتاين (1918 – 1990)، الموسيقي الأميركي الذي كبر في عائلة متواضعة، وتخرج في هارفارد ليصبح ظاهرة عالمية لطالما أفشلتْ محاولات تصنيفها.

وحظيت النسخة الجديدة من العمل باهتمام واسع لكن عقبات كثيرة حالت دون استمرارها من بينها تراجع جمهور هذا النوع المسرحي، ومن ثم كان الإغلاق سببا أساسيا أيضا.

ولم يكن الوباء هو العقبة الوحيدة أمام العرض، إذ تنحى المنتج الأصلي للعمل سكوت رودين لمصلحة كايت هورتون بعد اتهامات بالتحرش في مكان العمل.

كذلك واجه أمار راماسار، أحد الممثلين الرئيسيين، اتهامات بممارسة سلوك غير لائق خلال سنوات عمله في فرقة باليه نيويورك.

وأعلنت مسارح برودواي التي من المقرر إعادة فتحها في سبتمبر، أنها ستشترط أن يكون أفراد الجمهور وجميع أعضاء فرق الإنتاج المسرحي ملقّحين ضد كوفيد – 19.

> المسرحية الغنائية بعد ستين عاما من العروض الناجحة تتوقف نهائيا وتكتفي بتحولها إلى فيلم سينمائي

ونذكر أن مسرح برودواي يعود لتقديم عروضه المسرحية وفق شروط صحية صارمة، ومنها مسرحيات موسيقية كبيرة مثل "هاميلتون" و"ذا لايون كينج" أو (الأسد الملك) و"ويكد" أو (الشرير) ، في سبتمبر بعد إغلاق المسارح منذ مارس 2020 عندما تفشى الوباء في نيويورك لأول مرة.

وكان نجم موسيقى الروك بروس سبرينجستين دشن افتتاح مسارح برودواي لأول مرة بعد كورونا بعرضه المنفرد "سبرينجستين أون برودواي" في يونيو الماضي، لكن أمام عدد محدود من الجمهور.

ويعتبر لجوء مسرحية "ويست ساید ستوري" إلى السينما بشكل نهائي إعلانا عن تغير المشهد المسرحي الذي قد يشهد انتهاء العديد من الأنماط التقليدية.

نهاية عمل مسرحي مؤسس

«ليلة في تل الصافي»..
خمس مسرحيات نقدية

عمان – في كتابه الجديد بعنوان "ليلة في تل الصافي" يقدم الكاتب الأردني محمد عبدالله القواسمة خمس مسرحيات قصيرة من ذوات الفصل الواحد، والعنوان "ليلة في تل الصافي" هو عنوان إحدى هذه المسرحيات الخمس.

ويتناول القواسمة في هذا العمل، الصادر عن دار البيروني في عمّان، قضايا مهمة ما زالت تؤثر في مناحي الحياة العامة، وبخاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مثل قضايا: صفقة القرن والإرهاب واضطهاد المرأة والظلم والفساد.

و"ليلة في تل الصافي" مسرحيات تعبر عما يحس به الناس في هذا العالم الذي تضيع فيه الحقائق، وتتضاءل فيه الأفراح، وتكثر فيه المصائب، وتهمش العدالة، وتطغى الأنانية، ويقل الوفاء، وتترسخ الكراهية، ويغيب التسامح. ومسرحيات الكتاب تنتمي إلى عالم الواقع وعالم الفن، وتتعامل مع الموضوع ببساطة وحيوية، وتقفز بالمتلقي إلى بقع ضوء غائبة في تلافيف الحاضر.

وكتب الناشر على الغلاف الخارجي للكتاب كلمة جاء فيها "يُقدّم هذا الكتاب خمس مسرحيات نثرية قصيرة، يتكوّن كل منها من فصل واحد، وتصطفّ إلى جانب الفقراء والمضطهدين، وتُحرّك الحنين إلى مواطن الطفولة والصّبا، وتدعو إلى مواجهة ما في الواقع من مثالب ومصائب، بروح متوثبة، وهمّة عالية، وآمال عريضة، كما تدعو إلى نبذ كل مظاهر الضعف والاستسلام، وتدين ما يُحاك للأوطان في الغرف المظلمة من مؤامرات ودسائس".

> مسرحيات تتناول قضايا راهنة وتعبر عما يحس به الناس في هذا العالم الذي تضيع فيه الحقائق

وحملت المسرحيات عناوين: صفقة القرن، وانتفاضة الدجاج، وتولستوي الإرهابي، والإرهاب بالباب.

يذكر أن القواسمة يحمل درجة الدكتوراه في النقد الروائي، وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد الكتاب العرب وعضو مؤسس في جمعية النقاد الأردنيين، وله مقال أسبوعي في جريدة الدستور الأردنية، وصدر له العديد من المؤلفات في النقد والشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرح وأدب الأطفال.